تقديـــم

إشكالية إعداد المعلمين وأهداف المؤتمر*

ندى مغيزل نصر**

ملخص: تتناول المداخلة نقاط عدّة، منها: ١) التذكير بأهمية إعداد الموكلين في تكوين بنى أولادنا الذهنية في مجتمع المعرفة، ٢) عرض ميزات مجتمع المعرفة والاستنتاجات التي تحتّمها على مستوى التعليم، ٣) تقديم المهارات الجديدة التي على المعلم أن يكتسبها، ٤) الإشارة إلى ضرورة "تمهين" فن التعليم والتدابير المواكبة لهذا القرار كما والتذكير بالقرارات المتّخذة على مستوى وزراء التربية العرب، ٥) عرض لغاية المؤتمر وأهدافه، ومنها تقديم وثيقة لإعداد المعلّمين في البلدان العربية وتنظيم شبكة بين المعنيين للتداول المستمر.

وفي الختام، تتمنى المداخلة أن يزيد هذا اللقاء ولو مدماكاً واحداً في ورشة حية مستمرة وهي تحسين مستوى التعليم في بلداننا ليبقى لنا مستقبل.

"من فضلك إلى أين عليّ أن أتجه؟"، سألت "أليس" في كتاب لويس كارول "أليس في بلاد العجائب".

أجابها محاورها: "حسب المكان الذي تريدين الوصول إليه".

أن نبقى كعرب مندرجين في العالم، في صنعه و في بنائه أو لا نكون، هو السؤال الذي يحتويه موضوع مؤتمرنا: "إعداد المعلمين في البلدان العربية"، أي إعداد الذين يشاركون، عبر عملهم اليومي، في تكوين البنى الذهنية فيها. فإشكالية الموضوع هذا تطرح وتحتوي خيارا مصيريا. ونحن نجتمع اليوم لكي نتداول في عنصر من العناصر التي تسمح لنا بأن نندرج في مجتمع المعرفة:

---

* كلمة ألقيت في افتتاح المؤتمر.

** دكتوراه في العلوم التربوية – جامعة باريس ٥ – رينيه ديكارت. أستاذة في المعهد اللبناني لإعداد المربين– جامعة القديس يوسف.

حيث الرأسمال البشري، أي مستواه التعلّمي من أهم الموارد،

حيث ثوّرت تقنيات التواصل الجديدة طرائق الوصول إلى المعارف،

حيث تكاثرت مصادر المعرفة، فلم تعد المدرسة تملك امتياز نشرها بل تنافسها مصادر عدة،

حيث تتضاعف المعارف كل ثلاث سنوات،

حيث أصبح عالم العمل أكثر تعقيدا ويتطلب مهارات عدة وتشبيكا بين ميادين مختلفة،

حيث انفتح العالم بعضه على بعض،

حيث التحقت أعداد كثيفة ومتنوّعة بالمؤسّسات التعليمية.

نستنتج من هذه المعطيات:

- ضرورة تأمين الحق في التعلّم للأولاد كلّهم من خلال مقاربات تربوية تسّهل التعلّم. فالحق في التعلّم يعني الحق في التحصيل، أي في النجاح. ونعلم أن نسبة الرسوب المدرسي والتسرّب تشير إلى وضع مقلق في بلداننا، لكن هذه الحالة ليست حتميّة، كما أثبتت العلوم التربوية والاكتشافات حول الدماغ. وللمعلمين دور جوهري في تأمين الحقّ في التعلّم، أي الحقّ في النجاح و في نوعية عصريّة من التعليم للأولاد جميعا داخل الصف.

- ضرورة التكيّف مع تزايد الجمهور المدرسي وتنوّعه.

- ضرورة التأمل في ما ينبغي تعلمه، نظرا لاستحالة تعليم كل شيء وتعلمه.

- ضرورة التأمل في الآليات التي على المدرسة أن تعتمدها، وطرائق التعليم في ضوء هذه التغيّرات، لتمارس دورها.

- ضرورة تأمين نوعية من التعليم تؤهّل أولادنا للدخول في هذا العالم من خلال تنمية قدرات معيّنة.

أولاً: مقوّمات التعليم التي نحن ملزمون بها

مقومات التعليم التي نحن ملزمون بها عدة اخترت منها:

تعليم التعلّم و بناء المعرفة و القدرة على العيش معا.

يقول ألفين توفلر: "إن الأمّي في القرن الحادي والعشرين هو الذي لم يتعلّم التعلّم". ينبغي على النظام التربوي أن يؤهّل أولادنا بقدرات تتيح لهم أن يتموضعوا في سيل المعلومات الفائضة التي يمكنهم الحصول عليها، وذلك عبر تنمية قدرات عدّة من خلال الطرائق التربوية المعتمدة. من هذه القدرات:

- القدرة على البحث عن المعلومات التي يحتاجون إليها ضمن الموارد الجديدة التي تتيحها التقنيات الحديثة.
- القدرة على الاختيار في هذا السيل المتكاثر من المعلومات.
- القدرة على الربط والتوليف في ما بينها، لبناء معرفة انطلاقا من هذه المعلومات الكثيرة المتوفّرة.
- القدرة على التحليل والنقد، للتمييز بين المهم منها وغير المهم، وبين الصحيح وغير الصحيح. إن أولادنا بحاجة، أكثر من أي وقت مضى، إلى تعلّم التعاطي مع ما يعرض عليهم بشكل واع ونقدي فلا يسيّرون في أي اختيار.
- القدرة على التساؤل والفضول، وبناء أجوبة جديدة، فيبنون بأنفسهم، انطلاقا من تلك المعلومات، معرفة يكونون قد شاركوا فعلياً في تشييدها.
- القدرة على تنظيم المعلومات من أجل الاحتفاظ بها واستعمالها عند الحاجة.
- القدرة على العمل مع الآخرين، قدرة يتطلّبها سوق العمل الحديث مهما كانت المهنة.
- القدرة على استعمال التقنيات الحديثة.
- القدرة على التعبير.

إن العديد من هذه القدرات يدخل الولد في "ثقافة التعلّم"، أي يؤهّله للتعلّم المستمر في "عالم لم يعد فيه التعلّم مرحلة من مراحل الحياة، بل أصبح طريقة عيش"، بحسب قول المدير العام لليونسكو. فالتعلّم المستمر مقاربة تعليمية أساسية في الألفيّة الثالثة. إن التعليم "الخطوطي" لم يعد يتناسب مع العالم المهني الذي نحن نتوجه إليه، لأن هذا العالم يتغيّر بسرعة ولأن أي امرئ لن يبقى في منصب واحد طيلة حياته، بل ينتقل إلى مناصب أخرى، وهذا يتطلب مهارات في فن التعلم، على المدرسة أن تكسبها لأبنائها عبر طرائق التعليم.

آن يكون المرء مستهلكاً سلبياً للمعرفة بات أمراً مستحيلاً في عصرنا هذا، فالكيفية الجديدة لتلقي المعرفة تفرض تكوين القدرة على بنائها.

المدرسة ملزمة أيضا بتعليم المواطنية والعيش معا.

ثانياً: المهارات الجديدة الضرورية لممارسة مهنة التعليم

مهنة ذلك الموكل إليه أمر تكوين هذه البنى الذهنية تطوّرت إذا، تطوّرت في اتجاهات عدة تفترض اكتساب مهارات جديدة، أشير إلى خمس فئات هي:

١. فئة المهارات المتعلّقة بتنظيم الحالات التعليمية وتنشيطها،

وهي تشمل:

– القدرة على اعتماد طرائق ناشطة تجعل التلميذ يشارك في بناء معرفته، وينمّي القدرات التي سبق أن عرضناها.

– القدرة على تحفيز التلاميذ في عصر تنافس فيه المدرسة موارد معلومات أخرى أكثر تشويقا منها، وفتح قابليتهم للتعلم المستمر.

– القدرة على اعتماد مقاربات تربوية متنوّعة لتأمين التعلم لكل التلاميذ، فتزايد الجمهور المدرسي يعني تواجد استراتيجيات تعلّمية مختلفة داخل الصف.

– القدرة على اعتماد التقييم التكويني، وهو يندرج في وسائل التعليم، بما يشير بوضوح ودقة إلى مواطن القوّة للمثابرة عليها وإلى مواطن الضعف لتخطيها، وينظر إلى الخطأ كمناسبة ثمينة للتعلم.

هذا النوع من التقييم يفرضه أيضا تغيير الأهداف التربوية والقدرات الجديدة التي ينبغي إكسابها للتلميذ.

– القدرة على تنظيم العمل الجماعي بين التلاميذ. فالقدرة على العمل الجماعي من القدرات التي يتطلبها العالم المهني الحديث كما سبق و قلنا.

– القدرة على معرفة الصعوبات التعلّمية وكيفية معالجتها. فالعلوم التربوية قد تخطّت "إيديولوجية المواهب"، وبرهنت إمكانية الأولاد كلّهم على التعلم إذا تأمّنت الشروط التربوية الملائمة.

– القدرة على التربية على المواطنية في عصر لا بد فيه من مشاركة المواطن في الحياة العامة، ولا بد من أن "نتعلّم أن نعيش فيه معا كالأخوة، كي لا نموت معا كالأغبياء"، بحسب قول مارتن لوتر كينغ.

٢. **فئة المهارات المتعلّقة بمحتوى المواد** وهو في تطوّر مستمر نظرا للتفجّر المعرفي:

القدرة على تحويله إلى غايات تعليمية وعملية تعلّمية. هذا يسمح بتحديد الأولويات وبالتأكد من وصول الجميع إليها.

٣. **فئة المهارات المتعلّقة باستعمال التقنيات الجديدة** لاستخدامها في العملية التعليمية.

٤. فئة المهارات الاجتماعية

مهنة المعلم تتخطى حاليا حدود الصف. فهي تندرج في حلقة تعليمية تندرج بدورها في مراحل، وفي مؤسسة تعليمية تنتمي إلى بيئة اجتماعية. فلا بدّ للمعلم من أن يتقن التعامل مع هذه المستويات، أي أن ينظم مواده التعليمية بالتدرّج مع الصفوف الأخرى. ولا بد له من أن يشارك في بناء مشروع تربوي داخل المدرسة، يكون ترجمة عملية لخيارات تربوية كبرى.

هذا يتطلب القدرة على العمل الجماعي. فالعمل الفريقي أصبح من مستلزمات مهنة التعليم. وتظهر الدراسات وقع عمل الفريق التربوي على مستوى التحصيل عند التلاميذ، كما تبيّن أهمية التعاون مع الأهل أيضا. لابد إذا من تنمية مهارات التواصل لدى المعلم، ليحسن التعاطي مع شركاء يزداد عددهم: من معلمين آخرين، إلى أخصائيين، إلى أهل، إلى مؤسسات مدنية.

٥. **فئة المهارات المتعلّقة بتطوير شخص المعلم**، وهي الأهم:

يقول الشاعر: "ما نكونه يصرخ أعلى مما نقوله". المعلّم يعلّم أولا من خلال ما يكونه. فهو محور للتماهي، يجسّد المادة ويفتح القابلية لتعلّمها أو يصدمها. هو

الوسيط بين هذه المادة والمتعلّم. كيفية "تقديم الشيء" (إنني أحب هذا المفهوم لعالم النفس فينيكوت) بشكل يفتح قابلية التعلّم والبحث والمطالعة، ويخلق لذة وعلاقة حيّة بالمعرفة، تدخل التلميذ في ثقافة التعلم أي في مشروع مستمر، فيصبح التلميذ "طالبا" بالفعل للمعرفة، لأنه يعي أن المعرفة ليست سلعة ميتة تتناقلها الأجيال عبر المدارس لتعذيب التلاميذ، إنما هي أجوبة عن تساؤلات جوهرية طرحها البشر على أنفسهم عبر التاريخ وهي تعنينا.

المهارات المتعلّقة بالمعلّم تعني أيضا وخصوصا القدرة على التأمل. لقد ابتكر "شون" مفهوما مثيرا للاهتمام وهو مفهوم "المعلّم المتأمّل"، أي الذي يتمتع بالقدرة على التأمل بما يقوم به، وعلى التحليل والتساؤل المستمر والشك، والبحث دائما عن معنى ما يقوم به، وهو قادر على ابتكار حلول جديدة وعلى التقييم الذاتي، قادر على بناء خبرة وتحويلها إلى معرفة واستخدام معارفه على الأرض.

هذه الأمور كلها تدخل المعلّم في ثقافة التعلم المستمر. فالقدرة على التعلّم المستمر لا ترتجل بل تبنى خلال عملية الإعداد.

قدرة المعلم على التعلّم المستمر تؤثر إيجابيا على قدرة التلميذ على التعلّم. يقول فيليب ميريو: إن "التلميذ يتعلّم عندما يتعلّم المعلّم وعندما تتعلّم المدرسة".

ثالثاً: ضرورة تمهين التعليم

بحسب فيليب برنو إن مستقبل مهنة التعليم أمام خيارين:

– البروليتارية، حيث دور المعلّم دور تقني يقتصر على تنفيذ ما تأمّل فيه غيره وحدّده و نظّمه. هذه المقاربة بالطبع تؤثر سلبا على مستوى التعليم.

– التمهين. أستشهد هنا بما جاء في التقرير المميّز الذي صدر سنة ١٩٩٥ عن "ورشة العمل الإقليمية حول تمهين التعليم وإعداد المعلمين وتأهيلهم" التي نظمها مكتب اليونسكو الإقليمي: "إن التمهين يزداد كلما كان على المرء أن يواجه في عمله مشكلات معقّدة ومتنوّعة لا يعرف مسبقا الحلول الناجعة لها. وبالمقابل تكون لديه المعارف و المهارات والوسائل لتشخيص الوضع واعتماد حلّ مناسب ومن دون أن يعتمد بشكل آلي على حلّ وضعه آخرون. إن التمهين لا يتطلب فقط

قدرات عقلية عليا كالتحليل وتفسير المتغيّرات وغيرها... بل أيضا استقلالية القرار وحرية الخيار والثقة بالنفس والالتزام بقواعد السلوك الأخلاقي المتخصص، ما لا يوفره سوى إعداد مسبق و تدريب مستمر له خصائص معيّنة من حيث مدّته ومستواه ومضامينه من معارف ومهارات ومواقف، بما فيها بناء الهوية المهنية و الالتزام بأخلاقيات المهنة".

ومن توصيات التقرير المشار إليه ضرورة "إخضاع برامج إعداد المعلمين للآليات والمتطلّبات عينها التي تخضع لها سائر البرامج الجامعية المهنية، أي للاعتماد المسبق من قبل سلطة مستقلّة. فعمليات الإعتماد تضمن رفع مستوى الإعداد المهني من خلال وضع معايير معينة والتقييم المستمر لهذه المعايير".

تمهين التعليم ورفعه إلى مستوى جامعي يحسّنان جودة التعليم ويعيدان الاعتبار الاجتماعي لمهنة فقدته في السنوات الأخيرة.

الخيار هذا يحتوي، كما قلنا في مستهل المداخلة، خيارات مصيرية أخرى. وهو خيار اتّخذناه نحن العرب. فلقد أقر وزراء التربية والوزراء المسؤولون عن التخطيط الاقتصادي في الدول العربية في مؤتمرهم الخامس الذي نظمته منظمة اليونسكو في القاهرة العام ١٩٩٤ مبدأ تمهين مهنة التعليم. كما أقرّت المؤتمرات الإقليمية والدولية، ونحن من المشاركين فيها، ومنها أحكام " التوصية الدولية بشأن أوضاع المدرّسين" سنة ١٩٦٦ ، ضرورة التمهين الذي يستلزم أن يكون إعداد المعلّمين على مستوى التعليم الجامعي.

يبقى أن نذكّر بقوّة وحزم بهذه القرارات وخاصة أن نطبّقها، لأن مصيرنا كعرب متعلّق بها. ونحن العرب نتقدّم معا أو نتراجع معا والعروبة كما نفهمها هي مشروع حيّ، مستمر ومتطلّب يسمح لنا بأن نكون من صنّاع العالم.

رابعاً: أهداف المؤتمر

يندرج لقاؤنا في هذا السياق، في هذا الهمّ. فغايته تحسين مستوى التعليم في بلداننا العربية من خلال تحسين أداء المعلمين الذي هو رهن إعدادهم.

من أهدافه:

١. **التأمل في مقاربات الإعداد في بلداننا العربية**، على ضوء المهارات الضرورية لممارسة مهنة التعليم في القرن الحادي والعشرين، وفي ضوء التوصيات العربية والدولية.

٢. **وضع نواة وثيقة للبلدان العربية حول مكوّنات إعداد المعلمين** فالغاية من لقائنا إنتاج نص مرجعي يستمر العمل انطلاقا منه، ليطبق على الأرض، فيكون لقاؤنا خطوة مفيدة في مسار طويل تراكمي، سبقتها خطوات عديدة سوف تتابع وتترجم على الأرض.

٣. **تكوين شبكة للتداول المستمر في موضوع إعداد المعلمين وتطويرهم المهني في البلدان العربية**، فينظّم الحوار بيننا ليبقى حيّا.

من هنا كان اهتمامنا بأن يشارك في هذا اللقاء كل المعنيين في تطوير عملية إعداد المعلمين: من ممثلين عن وزارت التربية، إلى عمداء في كليات التربية ومديري دور معلّمين و مسؤولين عن عمليات الإعداد، إلى مفتّشين وموجّهين تربويين واختصاصيين في العلوم التربوية ومديري مدارس ومنسقي مراحل ومواد وممثلين عن منظمات المعلّمين.

خامساً: تنظيم المؤتمر

للوصول إلى الغاية والأهداف التي حدّدناها للقائنا، كان لا بد من التأمل في المهارات التي على المعلّم أن يمتلكها، وفي كيفية إكسابه إياها، ومن جردة حساب تقييمية للمقاربات العالمية في هذا الموضوع وللتوصيات الدولية، وجردة حساب تقييمية للمقاربات المعتمدة في البلدان العربية.

كذلك كان لا بد من الإصغاء إلى الحاجات التي يلتمسونها هم أنفسهم بالنسبة إلى إعدادهم للتجاوب معها، والتأمل في كيفية تقييم إعداد المعلّمين وإدخالهم في ثقافة التعلم المستمر.

هذا، ببساطة، هو التصميم العام الذي اعتمدناه لمؤتمرنا.

ليكون لقاؤنا مثمرا، اخترنا أن نوزّع في الجلسة الافتتاحية ورقة عمل حول "نواة وثيقة لإعداد المعلمين في البلدان العربية"، أعدّها د. مراد جرداق، للتداول في شأنها وإغنائها في النقاشات ولا سيما في ورش العمل المخصصة لهذه الغاية. سوف تعرض في الجلسة الختامية مع ثمرة الملاحظات التي ستغذيها، فنخرج من لقائنا باقتراحات محددّة لتحسين نوعية إعداد المعلمين في بلداننا و نخرج أيضا بتصوّر لشبكة تسمح بالتداول المستمر في موضوعنا.

إنه لقاء نتمناه مثمرا و مفيدا، حول موضوع جوهري.

موقع المعلّم، الذي أثبتت أهميته الأبحاث في العلوم التربوية، سبق على أي حال أن اكتشفه، بشكل ملموس ومعاش، مشارك حاضر في مؤتمرنا، هو التلميذ القديم الذي يحتويه كل منا.

نتمنى أن يزيد لقاؤنا ولو مدماكا واحدا في ورشة حية مستمرة وهي تحسين مستوى التعليم في بلداننا ليبقى لنا- بكل بساطة - مستقبل.